دولة الإمارات العربية المتحدة
دبي

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

إسلامية فكرية محكّمة

العدد السادس و العشرون
شوال ١٤٢٤ هـ - ديسمبر ٢٠٠٣م

مَجلَّــة
كُلِّيَّةِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ والعربيَّةِ

إسلاميَّة، فكريَّة، محكَّمة
نصف سنويَّة

العدد السادس والعشرون
شوال ١٤٢٤هـ - ديسمبر ٢٠٠٣م

رئيس التَّحرير

أ. د. محمــد خليفــة الدنّــاع

سكرتير التَّحرير

د. مصطفى عدنـان العيـثاوي

هيئة التَّحرير

أ. د. رضوان مختار بن غربية
د. محمد الحــافظ النقــــر
د. عــمر بــو قــــــرورة

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩X

تفهرس المجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

المحتويـــــــات

● **الافتتاحية**

رئيس التَّحرير ١٣-١٤

● **مسألة خلق القرآن ومثال العلاقة بين الأزلي والمخلوق في الفكر الإسلامي**

الدكتور: عبد الحكيم أجهر ١٧-٥٢

● **المحدّث محمد يوسف البنُّوري وكتابه معارف السنن، شرح سنن الترمذي**

الدكتور: ولي الدين تقي الدين الندوي ٥٣-٩٢

● **العولمة الاقتصادية وسبل تفعيل إقامة سوق إسلامية مشتركة**

الدكتور: عمر صالح بن عمر ٩٣-١٤٤

● **حكم زواج الكتابية بين الاطلاق والتقييد**

الدكتوره: روحية مصطفى أحمد ١٤٥-٢٠٢

● **دُخَان التَبْغ حقيقته وتاريخه**

الدكتور: قاسم علي سعد ٢٠٣-٢٣٦

● **المضاربة المشتركة في المصارف الإسلامية**

الدكتور: عبد المجيد محمد السوسوه ٢٣٧-٢٧٠

● **أمهات الأدوات الأحادية في الأبواب النحوية**

الدكتور: مصطفى عدنان العيثاوي ٢٧١-٣١٦

● **شعر ابن شهيد الأندلسي، دراسة فنية**

الدكتور: خالد لفتة اللامي ٣١٧-٣٥٤

● **البلاغة عند العلوي (٧٤٩ هـ) بين التنظير والتيسير**

الدكتور: بن عيسى باطاهر ٣٥٥-٣٩٢

• **FEATURE GEOMETRY & FEATURE SPREADING AN AUTO SEGMENTAL ANALYSIS OF EMPHATIC CONSONANTS IN ARABIC**

Dr. Lahlal Mohammed ..... 5 - 32

البلاغة عند العلوي (٧٤٩ هـ)

بين التنظير والتيسير

الدكتور

بن عيسى باطاهر*

* أستاذ البلاغة المشارك في جامعة الشارقة

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى استجلاء معالم المنهج البلاغي عند يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ) الذي يعدّ أحد أشهر البلاغيين في القرن الثامن الهجري، ويعد كتابه الطراز من أفضل كتب البلاغة مادّة وتنظيمًا وتيسيرًا بعد كتابي عبد القاهر الجرجاني «الدلائل والأسرار».

وقد اعتمد العلوي في دراسة علوم البلاغة على منهج فريد جمع فيه بين المدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية، مستفيدًا من المصادر الأساسية في هذا العلم، وقد عُني عناية شديدة بتحديد المصطلحات البلاغية، كما اهتم بالشواهد والأمثلة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكلام الإمام علي - رضي الله عنه - وبالأدب وفنونه النثرية والشعرية، وبهذه العناية بالنصوص المختلفة ابتعد العلوي عن التعقيد والجفاف اللذين نجدهما عند السّكاكيّ والقزويني وغيرهما من الشرّاح والملخّصين.

ومنهج العلوي في تناول المسائل البلاغية قائم على الترتيب البديع الذي سار فيه على نهج الأصوليين، فقسم كتابه إلى مقدّمات، ومقاصد، وتتمّات، كما أنه تميّز عن المناهج الأخرى في الجمع بين علوم البلاغة وإعجاز القرآن، وهو بمنهجه هذا يعدّ من أبرز البلاغيين القدامى الذين سعوا إلى تسهيل الدرس البلاغي وتيسيره من حيث المنهج، والموضوعات، والمصطلحات.

مقدمة

تباينت مناهج البلاغيين القدماء في تناول الدرس البلاغي، وقد توزّعت على تنوّعها وتداخلها في مراحل ثلاث لا يمكن الفصل بينها بحدود فاصلة، وقد كانت أولى هذه المراحل تلك التي عُنيت بدراسة الإعجاز القرآني والسعي إلى تعليله لغويًا وبيانيًا، ولعلّ أبرز من مثّل هذا الاتجاه الجاحظ (٢٥٥ هـ)، والرمّاني (٣٨٦هـ)، والباقلاّني (٤٠٣هـ)، ثمّ جاء الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١، أو ٤٧٤هـ) في القرن الخامس الهجري فبدأ مرحلة جديدة في مجال الكشف عن المفاهيم البلاغية، وتصنيف المصطلحات وتحديدها، وتعليل نظرية النظم وتفسيرها، وكانت هذه المرحلة مرتعًا خصبًا لأغلب الدراسات التي جاءت بعدها، ولا سيّما في مدرسة السكاكيّ (٦٢٦هـ) الذي بدأت على يديه مرحلة تقعيد القواعد، وتوزيع المصطلحات في مباحثها المحدّدة في علمي المعاني والبيان، واستمرت التبعية لهذه المدرسة في مناهج البلاغيين بعد ذلك، وقد كان للتلخيص الذي صنعه القزويني (٧٣٩هـ) تأثير كبير في الدارسين الذين جاءوا بعد ذلك، وكانوا في أكثرهم من الشرّاح والملخّصين، وكان بعضهم من المجتهدين الراغبين في الإضافة والتجديد من أمثال ابن الأثير (٦٣٧هـ)، وحازم القرطاجنّي (٦٨٤هـ)، والعلوي (٧٤٩هـ).

وقد استفاد هؤلاء البلاغيون المتأخّرون من تلك المراحل السابقة، فجاءت دراساتهم لعلم البلاغة عامرةً بمادة بلاغية أكثر تنظيمًا وترتيبًا لتلك المسائل والآراء والنظريات التي توصّل إليها السابقون، وقد تركوا فيها من النظرات والإضافات ما لا يمكن إهمالُه أو تجاوزه والتغاضي عنه.

ولعلّ الإمام يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ) صاحب كتاب «الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» أحد الذين استفادوا من معارف عصره في علم الكلام والأصول، وعلوم الشريعة، وأضاف إليها معرفة واسعة بالمصادر الأساسية في علوم العربية، تلك المعرفة التي استثمرها في دراسة علم البلاغة وقضية الإعجاز بمنهجية خاصّة أهّلتهُ ليكون أحد أئمة البلاغة في عصره.

وقد تناول الدارسون بلاغة العلوي بالدراسة والبحث، وهو يُصَنّف في الغالب ضمن المدرسة الكلامية التي اتبعها السكاكيّ، كما أنّه صُنّف ضمن المدرستين الكلامية والأدبية،

ولكنّ هذه الدراسات على أهمّيتها لم تعط العلوي حقّه من الدراسة والاهتمام كما نال غيره، ولم يُوضَع في مكانته التي يستحقها مع كونه أحد أئمة البيان في عصره، وأحد الذين اتّجهوا إلى تيسير علوم البلاغة في القرن الثامن الهجري، مستفيدًا في ذلك من مصادر بلاغية مختلفة ولا سيّما كتاب المثل السائر لابن الأثير.

وقد جاءت هذه الدراسة لتكشف عن أبرز معالم المنهج البلاغي عند العلوي وأهدافه، وملامح التجديد فيه، ولتعرض بعضًا من آرائه ونظراته في مسألة تيسير قواعد البلاغة، ومحاولة تبسيطها بطرائق الإيضاح والبيان في عصره، ولتبيّن موقفه من قضية إعجاز القرآن، ولتصل إلى معرفة مدى ملاءمة هذه الآراء والنظرات للاتجاهات الحديثة في مجال تيسير علوم البلاغة.

القسم الأول: التنظير البلاغي عند العلوي

١- العلوي إمامُ البلاغة في عصره:

الإمام المؤيّد باللّه يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ) من أكابر علماء اليمن، وأئمة الزيدية في القرن الثامن الهجري[١]، جمع الكثير من العلوم والمعارف، وصنّف الكتب والرسائل في مختلف الفنون مما يضعه في مرتبة العلماء المجتهدين، وهو عند الزيدية يناظر الفخر الرازي عند الأشاعرة، عُرف بالتواضع والاعتدال، والإخلاص والمجاهدة في نصرة الدين، قال عنه الإمام الشوكاني: «له ميلٌ إلى الإنصاف مع طهارة لسان، وسلامة صدر، وعدم إقدام على التكفير، والتفسيق، والتأويل، ومبالغة في الحمل على السلامة على وجه حسن، وهو كثير الذبّ عن أعراض الصحابة المصونة رضي اللّه عنهم»[٢]. وقد قال العلوي عن جهاده وعلمه: «واللّه يعلمُ - وكفى به عليمًا - أنّا لا نريد من الدنيا نيلَ لذّاتها الممزوجة بالكدر، ولكنّا نريد إقامة الدين، وإظهار كلمة المسلمين، ونشر العلوم وبثّها، وقمع رأس الباطل وأهله، وقد بذلنا جهدنا، وأنفسنا، ونفائسنا للّه وفي سبيله، طالبين مرضاته، وقائمين بتأدية مفروضاته»[٣].

ترك العلوي مكتبةً غنيّة من المصنّفات والرسائل في علوم كثيرة منها: علم الكلام، والفقه وأصوله، والحديث والزهد، والنحو والبلاغة، وفي فنون أدبية أخرى، وهو معروف بين الدارسين والبلاغيين على وجه الخصوص بكتابه «الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز»[٤]، وهو كتاب جليل في علوم البلاغة وفنونها، وله في تلخيصه كتاب آخر لا يزال مخطوطاً أسماه «الإيجاز لأسرار كتاب الطراز»[٥]، وهذان

(١) انظر ترجمته في البدر الطالع - محمد بن علي الشوكاني، ط دار المعرفة بيروت، ج٢ ص ٣٣١ - ٣٣٣. وفي الأعلام - خير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين بيروت ج ٨ ص ١٤٣ - ١٤٤، وله ترجمة مفصّلة في كتاب الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية - أحمد محمود صبحي - ط ١ منشورات العصر الحديث ١٩٩٠م.

(٢) البدر الطالع: ج٢ ص ٣٣٢. وللعلوي رسالة جليلة في الذبّ عن الصحابة بعنوان: الرسالة الوازعة للمعتدين عن سبّ صحابة سيّد المرسلين - ط ١ - مكتبة دار التراث - صنعاء ١٩٩٠م.

(٣) رسالة بعنوان: جواب الإمام لرجل من الشام يسأله عن أحواله ومصنّفاته (مخطوط)، مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، مجموع ١٠٦ ورقة رقم: ١٨١.

(٤) طبع بمطبعة المقتطف القاهرة سنة ١٩١٤م.

(٥) مخطوط، وتوجد نسخة منه في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم بلاغة ١.

الكتابان من أفضل كتبه اللغوية مادةً وأسلوباً، وقد ذكرهما العلوي في رسالة له يتحدّث فيها عن أحواله ومصنّفاته، إذ قال: «ومنها (أي من مصنّفاته) كتبٌ في علم البيان، منها الطراز في علم حقائق الإعجاز (جزآن)، يشتمل على نكت وغرائب في علم البيان، ويحتوي على الدقائق الشعرية، ومحاسن الاستعارة، والتمثيل، وطرق علم البلاغة، ومنها الإيجاز (جزآن)، يشتمل على تحقيق علوم المعاني وعلوم البيان، وعلى ذكر أنواع البديع، بما يكون وصلة إلى معرفة حقائق إعجاز القرآن، وهو كتاب بالغ في فنّه، مستحسن في طريقه ومستسنّه، لا يعقلهُ إلاّ من ضرب في علم البلاغة بعلم وافر»[٦]، وقد حظيَ كتاب الطراز بعناية بعض الدارسين، الذين كتبوا عن منهجه، وقيمته العلمية، وتصنيفه في مكتبة البلاغة العربية[٧].

إنّ الاطلاع على كتاب الطراز يعطي القارئ فكرة طيّبة عن الجهد الذي بذله العلوي في تأليفه، فالكتاب متميّز في منهجه وأسلوبه ومادته العلمية، ولعلّه من أفضل كتب البلاغة وأكثرها استيعاباً للمادة البلاغية بعد كتب الإمام عبد القاهر الجرجاني، ويؤيد هذا الرأي ويدعمه ما ذكره «محمد رشيد رضا» في مقدّمة تحقيقه لكتاب «أسرار البلاغة»، من أنّ كتاب الطراز من أفضل كتب البلاغة بعد كتب عبد القاهر الجرجاني، قال: «أمّا كون عبد القاهر هو واضع الفنّ ومؤسسه، فقد صرّح به غير واحدٍ من العلماء الأعلام، أجلّهم قدرًا، وأرفعهم ذكرًا، أمير المؤمنين، محيي علوم اللغة والدين، السيد يحيى بن حمزة الحسيني صاحب كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز، فقد قال في فاتحة كتابه هذا، وهو من أحسن ما كُتب في البلاغة بعد عبد القاهر ما نصّه...»[٨].

ويشير أحمد مطلوب إلى أنّ الطراز من أفضل كتب البلاغة منهجًا وتحليلاً للنصوص في القرن الثامن الهجري، يقول: «إنّ كتاب الطراز تميّز عن غيره من كتب البلاغة المتأخرة: لأنّه مزج بين العلم والأدب، ولذلك كان من أحسن كتب البلاغة في القرن الثامن للهجرة،

(٦) رسالة في جواب الإمام لرجل من الشام يسأله عن أحواله ومصنّفاته: ورقة رقم: ١٨٣.

(٧) من أبرز هؤلاء الدارسين: بدوي طبانة في كتابه «البيان العربي»، وشوقي ضيف في كتابه «البلاغة تطور وتاريخ»، وأحمد مطلوب في كتابه «مناهج بلاغية».

(٨) أسرار البلاغة – تحقيق محمود محمد شاكر، ط ١ مطبعة المدني جدّة ١٩٩١م ص ١٣.

لما فيه من ضبط لقواعدها، وأمثلة رائعة مختارة، وتحليل يدلّ على فهمٍ لأساليب العرب»[٩].

وقد أشاد بدوي طبانة كذلك بكتاب الطراز ومادته الغنية، وأسلوبه الجميل في تحليل النصوص[١٠]، غير أنّ شوقي ضيف في دراسته لتاريخ البلاغة العربية انتقد منهج العلوي، وانتقص من قيمة كتاب الطراز فقال: «يتّضح من عرضنا لهذا الكتاب أنّه مزاوجة بين مباحث ابن الأثير، ومدرسة الفخر الرازي والسكّاكي، وهي مزاوجة تنقصها الدّقة والنظرة الفاحصة، حتى ليتحوّل بها الكتاب إلى خليط من الاتجاهات والآراء، وهو خليط صُبغ بصبغة علم أصول الفقه، لا بما أدخله في بعض جوانبه من مباحث الأصوليين فحسب، بل أيضًا بما أردف فصوله من تنبيهات، وإشارات، ودقائق، وما دار فيه من كلمة أحكام، وكأنّنا بإزاء أحكام فقهية»[١١].

وهذا الرأي الذي أبداه شوقي ضيف في كتاب الطراز الذي نهج صاحبه فيه نهج الأصوليين والفقهاء، وزاوج بين مدرستي السكاكّي وابن الأثير، رأي يحتاج إلى مراجعة، فإذا كان العلوي قد زاوج بين المدرسة الكلامية والمدرسة الأدبية، وتأثّر بمناهج الأصوليين لكونه من الفقهاء المجدّدين، فذلك منسجمٌ تماماً مع الأهداف التي التزم بها في مقدمة الطراز، وأمّا افتقار منهجه إلى الدقة والنظرة الفاحصة فأمرٌ لا دليل عليه، ذلك أنّ مَزايَا هذا الكتاب كثيرةٌ، وتلك المزاوجة بين المنهجين الأدبي والكلامي غير مفتقرة للدّقة والمنهجية، بل هي منضبطة - فيما يبدو - بمنهج مقصود قائم على الاستفادة من علم الكلام في تحديد المصطلحات، ومناقشة المفاهيم، ومحاورة البلاغيين السابقين، والاستفادة من المنهج الأدبي في تحليل النصوص والشواهد، وعرض القضايا العويصة بالأسلوب الأدبي المناسب.

وقد استطاع العلوي بهذه المزاوجة الاستفادة من المصادر المختلفة التي سبقته، ومن ثمّ عرض مسائل هذا العلم الذي بدأ يتّجه إلى التعقيد والوعورة في بعض جوانبه، بما يحقّق التسهيل والإيضاح اللذين وعد بهما في مقدّمة كتابه الطراز.

(٩) مناهج بلاغية، ط١ وكالة المطبوعات - الكويت ١٩٧٣م، ص ٢٧٤.

(١٠) انظر البيان العربي، ط٧ دار المنارة جدّة، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(١١) البلاغة تطوّر وتاريخ، ط ٩ دار المعارف القاهرة (د. ت)، ص ٣٢٣.

٢- أهداف الدرس البلاغي عند العلوي

هدف العلوي من دراسة البلاغة إلى تزويد تلامذته بالمعرفة البيانية التي تساعدهم على قراءة تفسير الكشاف للزمخشري (٥٨٣هـ)؛ وذلك لمعرفة ما عزّ مطلبه من أسرار الإعجاز في القرآن، فقد قال في بيان غرضه من الخوض في هذا الفن: «إنّ الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أنّ جماعة من الإخوان شرعوا عليّ في قراءة كتاب «الكشاف»، تفسير العالم المحقّق أستاذ المفسرين، محمود بن عمر الزمخشري؛ فإنّه أسّسه على قواعد هذا العلم، فاتّضح عند ذلك وجهُ الإعجاز من التنزيل، وعُرف من أجله وجهُ التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل، وتحقّقوا أنّه لا سبيل إلى الاطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلاّ بإدراكه، والوقوف على أسراره وأغواره، ومن أجل هذا الوجه كان متميّزًا عن سائر التفاسير، لأنّي لم أعلم تفسيرًا مؤسّسًا على علمي المعاني والبيان سواه، فسألني بعضهم أن أملي فيه كتابًا يشتمل على التهذيب والتحقيق، فالتهذيب يرجع إلى اللفظ، والتحقيق يرجع إلى المعاني، إذ كان لا مندوحة لأحدهما عن الثاني»[١٢].

ولعلّ في هذا إشارة إلى أنّ المعرفة بقواعد علوم البلاغة عند العلوي وسيلةٌ ضروريةٌ يُتوصّلُ بها إلى معرفة الإعجاز القرآني ومن أجل ذلك سمّى كتابه «**الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**» ،وقصد – فيما يبدو من كلمة الطراز التي تدلّ في اللغة على النمط والشكل، كما تدلّ على الهيئة الحسنة، والثياب الفاخرة، والجيّد من كلّ شيء – إلى أن يكون كتابهُ حاويًا وجامعًا لمحاسن البلاغة التعليمية التي لا غنى عنها لطالب أسرار الإعجاز القرآني الظاهرة في براعة النظم والتأليف، ودقائق المعنى والتركيب.

٣- منهج العلوي في الدرس البلاغي

(أ) الجمع بين المنهج الأدبي والكلامي وأسبابه:

إن من سمات المنهج عند العلوي الجمع بين معطيات المدرسة الأدبية التي يمثّلها ابن الأثير، والمدرسة الكلامية التي يمثّلها السكاكي ومن سار على منهجه، يقول أحمد مطلوب:

(١٢) الطراز: ج١ ص٥.

«وممن جمعوا بين المدرستين الأدبية والكلامية يحيى بن حمزة العلوي في كتابه الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، فهو في القسم الأول يسير على منهج أدبي واضح فيه التحليل والإكثار من الأمثلة، وهو في القسم الثاني يتبع طريقة المدرسة الكلامية في تصنيف مسائل البلاغة، وتقسيمها إلى معان، وبيان، وبديع، ولعلّ سبب ذلك أنّه في القسم الأول يتحدّث عن كلام العرب وأسس نقده، وفي القسم الثاني يتكلّم على إعجاز القرآن، وهو في هذا يشبه عبد القاهر الذي اتّخذ من المنطق والحجج العقلية أساسًا في كتابه دلائل الإعجاز، ومن الذوق والنزعة الفنية منهجًا في كتابه أسرار البلاغة، يضاف إلى ذلك أنّ مصادر العلوي جمعت بين كتب المدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية»[١٣].

ولعلّ من ملامح الاتجاه الأدبي في منهج العلوي البلاغي ما امتازت به كتابات العلوي من وفرة النصوص الأدبية المتنوّعة، وما كان يظهر في سياقاتها من شرح لقواعد البلاغة، وبيان لمبادئ هذا العلم ومصطلحاته، وكتابة العلوي في كثير من المواطن كتابةُ أديب متذوّق يضع يَدَكَ على مواضع الحسن، وينبّهك على عناصر الجمال والكمال في التعبير، ومن غير حاجة في بعض الأحيان إلى حدود أو مصطلحات، أو لجوء إلى منطق واستدلال[١٤].

وأمّا ملامح المنهج الكلامي فتتمثّل في تصنيف العلوي لعلوم البلاغة إلى فنون ثلاثة، تتضمّن تقسيمات عديدة كتلك التي نجدها في علم الكلام والأصول مثل: الأحكام، والمقدّمات والمطالب، والضروب، والمسائل، والأبواب، والفصول، والمقاصد، والإشارات، وتتمثّل أيضًا في التحليلات والمناقشات المستفيضة، واستخدام المنطق والاستدلال فيها، وتظهر النزعة الكلامية في تعريف الفنون البلاغية، «فهو يذكر عدّة تعريفات للفنّ الواحد، ثمّ يبيّن ما في كلّ تعريف من اضطراب، أو عدم الدّقة»[١٥].

وطبيعة هذا المنهج الكلامي قريبة من شخصية العلوي العلمية، تلك الشخصية المجتهدة التي غلبت عليها علوم الفقه وإعجاز القرآن، وعلوم الأصول والمنطق وعلم الكلام، وقد كان هذا المنهج - أيضًا - سمةً من سمات العصر الذي عاش فيه، وقلّما تجرّد عنه كاتب أو مؤلّف.

(١٣) البحث البلاغي عند العرب، ط دار الجاحظ للنشر بغداد ١٩٨٢م، ص ٦٧.

(١٤) البيان العربي - بدوي طبانة: ص ٣٤٥.

(١٥) مناهج بلاغية: ص ٢٧٣.

وتظهر هذه النزعة الكلامية أكثر ما تظهر في تلك المقدّمات التي يقدّم بها كتبه ومسائله في ثنايا الكتاب، أمّا حين ينتقل إلى النصوص فيطغى عليه الطبع والتحليل الأدبي، والأسلوب الجميل، تأمّل مثلاً في مقدّمته الأولى الخاصّة بتعريف علم البلاغة حيث يقول: «اعلم أنّ كثيراً من الجهابذة والنّظار من علماء البيان وأهل التحقيق فيه، ما عوّلوا على بيان تعريفه بالحدود الحاصرة، والتعريفات اللائقة، ولا أشاروا إلى تصوير حقيقةٍ يُعرف بها من بين سائر العلوم الأدبية، والعلوم الدينية، كعلم الفقه، وعلم النحو، وعلم الأصول، وغيرها من سائر العلوم، فإنّهم اعتنوا فيها نهاية الاعتناء، وأتوا فيها بماهيات تضبطها وتفصلها من سائر العلوم، وعلى الجملة فإنّ ذلك غفلةٌ لأمرين، أمّا أولاً: فلأنّ الخوض في تقاسيمه وخواصّه وبيان أحكامه، فرعٌ من تصوّر ماهيته، لأنّ من المحال معرفة حكم الشيء قبل فهم حقيقته، وأمّا ثانياً: فلأنّ الخوض في أسراره ودقائقه إنّما هو خوضٌ في المفردات، ولا شكّ أنّ معرفة المفرد سابقة على معرفة المركّب، ولأجل ما ذكرناه لم يكن بدٌّ من بيان معقوله، ومعرفة ماهيته»[١٦].

فنزوعُ العلوي إلى طريقة المتكلّمين واضحٌ في بحثه لهذه المسألة ومناقشتها، وخاصّة في استخدامه للمصطلحات المتداولة عندهم مثل: الحدود، والماهية، والحكم، والتصوّر والحقيقة.

ويقول أيضًا في المقدّمة الأولى المتعلّقة بالعلوم من كتابه الإيجاز: «اعلم أنّ كلّ مَن عَلِمَ حقيقةً من الحقائق، فليس يخلو حالُهُ، إمّا أن يحكم عليها بحكم أو لا يحكم، وإن حكم فلا يخلو ذلك الحكم إمّا أن يكون بالإيجاب أو بالسلب، والفرق بين عدم الحكم والحكم ظاهر، فإنّ الحكم بالعدم أمرٌ سلبي مضاف إلى الحقيقة لا محالةَ، خلا أنّه عدمٌ، بخلاف عدم الحكم فإنّه آيلٌ إلى أنّه لم يحكم على الحقيقة بشيء أصلاً»[١٧].

ومثل هذا الكلام المعتمِد على ما يُعرف عند الأصوليين بالسَبر والتقسيم، والذي نجده في بعض المقدّمات، وفي مواطن مُحدّدة من كتبه، هو إلى مناهج المتكلّمين أقرب، وبهم ألصق، ولا يمكن إدخالُه في مسائل البلاغة التعليمية الميسّرة بحال، لأنّ من أهداف البلاغة تقريب المعاني إلى النفوس، وتوصيلها إلى القلوب والعقول بألفاظ واضحة فصيحة.

(١٦) الطراز: ج١ ص ٨-٩.

(١٧) الإيجاز لأسرار كتاب الطراز (مخطوط) بمكتبة الجامع الكبير، صنعاء: ورقة ٣.

لقد حاول العلوي بهذه المزاوجة بين المدرستين تحقيق التسهيل والتوضيح، وأن يأخذ في الوقت ذاته بأسباب البحث العلمي السائد في عصره، ذلك البحث الذي يستغرق دقائق الأمور، ويحيط بخواصّها، مفترضًا ومبرهنًا ليصل بعد ذلك إلى حقائقها[١٨]، وتبقى هذه المزاوجة من ميزات الدرس البلاغي عنده، ذلك الدرس الذي أراد به - فيما يبدو - تجديد منهج شيخ البلاغيين الجرجاني في دراسة فنون البلاغة الموصلة إلى فهم الإعجاز في القرآن.

ومع اعتراف العلوي بجهود البلاغيين السابقين، وحرصه على اتباعهم والاستفادة مما وصلوا إليه من تقعيد للقواعد، وبسط في المسائل، واختيار للشواهد، فإنّه كان معنيًا بالإضافة والتجديد في المنهج والمصطلح، والسعي إلى تيسير المباحث التي يرى فيها صعوبةً أو غموضاً، ومع أنّه اطلع على مصادر مهمّة ذكرها في مقدّمة كتابه الطراز، إلاّ أنّه حرص على مناقشة آراء السابقين بمنهجية خاصة، وبالاعتماد على معرفة واسعة بعلم الكلام وعلم النحو، وإذا ما وازنا بين منهجه، ومناهج غيره من علماء البلاغة في عصره مثل القزويني - مثلاً - لرأينا اختلافًا بيّنًا، «فبينما نجد القزويني لا يخرج عمّا رسمه السكّاكي، نجد العلوي يحلّق بعيدًا، فيشرح ويحلّل، وينقد، ويعلّل، ويعطي أحكامًا أملتها عليه تجربته، وحسّه الصافي، وثقافته الواسعة، واطلاعه الكبير»[١٩].

ولعلّنا قد لا نستطيع في هذه الدراسة سوق آراء العلوي البلاغية كلّها، والإضافات الجديدة التي أضافها، فهي كثيرة قد تستوعبها دراسة أخرى موسّعة، إلاّ أنّنا سنعرض هنا لأمثلة مختارة من كتاباته، تبيّن رأيه في قضية الحقيقة والمجاز التي تحدّث عنها بالتفصيل، وجعلها إحدى المقدّمات الخمسة الأساسية في كتاب الطراز[٢٠].

يرى العلوي أنّ المجاز من أعظم قواعد علم البلاغة، ومن مهمّات علومه، وسرّ جوهره، ويردّ على منكري وقوع المجاز في اللغة، والمغالين فيه بأنّ «إنكار الحقيقة في اللغة إفراط،

(١٨) الدرس البلاغي عند العلوي في كتابه الطراز - دلسوز جعفر حسين، رسالة ماجستير (مخطوط) ١٩٨٦م - مكتبة الجامعة الأردنية، عمان الأردن، ص ٢٥.

(١٩) القزويني وشروح التلخيص - أحمد مطلوب، ط ١ بغداد ١٩٦٧م: ص ٥١٣.

(٢٠) وقد عرض العلوي لقضية الحقيقة والمجاز أيضاً ضمن الباب الثاني من المقاصد الخاصة بعلم البيان في كتابه الإيجاز، ورقة رقم: ١٦٢.

وإنكار المجاز تفريط، فإنّ المجازات لا يمكن دفعُها وإنكارها في اللغة، فإنّك تقول رأيت الأسد، وغرضك الرجل الشجاع، وقوله تعالى: ﴿**واسأل القرية**﴾، ﴿**واخفض لهما جناح الذلّ**﴾، إلى غير ذلك، ثمّ إنّ اللغة والقرآن مشتملان على الحقائق والمجازات جميعًا، فما كان من الألفاظ مفيدًا لما وُضع له في الأصل فهو المراد بالحقيقة، وما أفاد غير ما وُضع له في أصل وضعه فهو المجاز»[٢١].

ولا يتبيّن مفهوم المجاز في منهج العلوي إلاّ بالتحديد الدقيق لمفهوم الحقيقة وأنواعها، فالحقيقة ما أفاد معنًى مُصطلحًا عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب، وهي ثلاثة أنواع: حقيقة لغوية، وعُرفية، وشرعية، فاللغوية ما دلّت على معانٍ مصطلحٍ عليها في تلك المواضعة مثل قولنا: السماء، والأرض، والإنسان، وأمّا الحقيقة العرفية فهي التي نُقلت من مسمّاها اللغوي إلى غيره بعرف الاستعمال، مثل لفظ الجنّ؛ والقارورة، فإنّه موضوع لكلّ ما استتر عنك، ولما كان مقرًا للمائعات، ثمّ اختص الجنّ ببعض من يستتر عن العيون، واختصت القارورة ببعض الآنية دون غيره ممّا يستقر فيه، وأمّا الحقيقة الشرعية فهي التي يستفاد من جهة الشرع وضعُها لمعنًى غير ما كانت تدلّ عليه في أصل وضعها اللغوي، مثل ألفاظ الصلاة، والزكاة، والحج، وسائر الأسماء الشرعية[٢٢].

ثمّ توسّع العلوي في شرح أنواع الحقائق وأحكامها تمهيدًا لتعريف المجاز تعريفًا خاصًّا خالف فيه كبار البلاغيين من أمثال عبد القاهر الجرجاني وابن جنّي، وابن الأثير، فالمجاز عنده «ما أفاد معنًى غير مصطلحٍ عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب لعلاقةٍ بين الأول والثاني»[٢٣].

ثمّ ناقش العلوي تعريفات كبار البلاغيين في هذا الشأن منهم الإمام عبد القاهر الذي عرّف المجاز بقوله «كلّ كلمة أريد بها غير ما وُضعت له في وضع واضعها لملاحظة الثاني والأول»[٢٤]، وابن جني الذي يُعرّف المجاز بقوله: «ما لم يقرّ في الاستعمالات على أصل

(٢١) الطراز: ج١ ص ٤٤، ٤٥.

(٢٢) انظر المصدر نفسه: ج١ ص ٥١ – ٥٧.

(٢٣) نفسه: ج١ ص ٦٤.

(٢٤) أسرار البلاغة: ص ٣٥١.

وضعه في اللغة»[٢٥]، وغيرهم، ويبطل العلوي هذه التعريفات كلّها لكونها شاملة للحقائق العرفية والشرعية، التي قد استعملت في غير ما وضعت له في أصل اللغة، ولم تُقَرّ على تلك الاستعمالات اللغوية، ولا يُقال بأنّها مجازات[٢٦].

وبعد أن عرض لأنواع المجاز في مفرده ومُركبه، تحدّث عن أحكامه التي أثبت بها وقوعه في كلام اللّه تعالى، وكلام رسوله - ﷺ - وقد ساق إجماع أهل التحقيق من علماء الدين والأصوليين، وعلماء البيان على جواز دخول المجاز في كلام اللّه تعالى، وكلام رسوله - ﷺ - مع أنّ الأمر لا يصلُ إلى الإجماع لوجود المنكرين له من القدماء أمثال أبي بكر بن داود الأصفهاني، وابن تيمية، وغيرهم، وقد استدل منكرو المجاز بأدلّة ذكر العلوي نفسه بعضًا منها، وهي[٢٧]:

١- لو خاطب اللّه تعالى بالمجاز لكان يجوز وصفه بأنّه متجوّز مستعير، وهذا غير لائق بالحكمة.

٢- إنّه لا فائدة في العدول إلى المجاز مع إمكان الحقيقة، فالعدول إليه يكون عبثًا لا حاجة إليه.

٣- إنّ المجاز لا ينبئ عن معناه بنفسه، فورود القرآن به يؤدي إلى أن لا يُعرف مُراد اللّه، فيفضي إلى الالتباس، وهو منزّهٌ عنه.

٤- إنّ كلام اللّه تعالى كلّه حقّ وصواب، وكلّ حقّ فله حقيقة، وكلّ ما كان حقيقة فلا يدخله المجاز، وهذا هو المطلوب.

وردّ العلوي على هذه الآراء بقوله: «إنّا قد أوضحنا بالبرهان العقلي جوازه، وأوردنا من الأمثلة في وقوعه في خطاب اللّه تعالى ما لا مدفعَ له إلاّ المكابرة، والإنكار، والمناكرة، فقوله أولاً: إنّه يؤدي إلى وصفه بأنه متجوّز مستعير، قلنا هذا فاسد لأمرين، أمّا أولاً: فلأنّ إجراء الأوصاف الإلهية موردة بالشرع، فما أذن فيه أطلقناه، وما سكت عنه توقفنا في حاله، وأما ثانيًا، فلعلّ هذه الأوصاف تُوهم الخطأ مع صحّة إجرائها عليه، فلا جرم أن

(٢٥) انظر: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار - ط عالم الكتب بيروت (د. ت)، ج٢ ص ٤٤٢.
(٢٦) الطراز: ج١ ص ٦٧.
(٢٧) نفسه: ج١ ص ٨٤، ٨٥.

توقفنا في إطلاقها. وأمّا قوله ثانياً: إنّه لا فائدة في العدول عن الحقيقة، فقد قرّرنا فيما سلف الباعث على التكلّم بالمجاز، وذكرنا أنّ هناك أغراضًا حكمية تبعث عليه، وأما قوله ثالثا: إنّ المجاز يؤدي إلى اللبس، قلنا إنّه لا لبس مع وجود القرينة، والمجازات لا تنفك عن القرائن الحالية والمقالية، وأمّا قوله رابعًا: إنّ كلام اللّه تعالى حقّ، قلنا إنّ كلام اللّه حقّ على معنى أنّه صدق لا يجوز فيه كذب، لا من أجل كون ألفاظه مستعملة في موضوعاتها الأصلية»[٢٨].

ولعلّ المبحث الخاصّ بالفروق بين الحقيقة والمجاز هو من أمتع المباحث وأكثرها دلالةً على مقدرة العلوي في التعبير، وبراعته في الاستدلال والمناقشة، فقد استفاد من ثقافته الأصولية في الاستدلال على هذا الموضوع الذي تباينت بشأنه الآراء عند القدماء والمحدثين.

ويشير العلوي إلى أنّ المرجع في معرفة الحقيقة والمجاز هو اللغة لا غير، وتتحدّد التفرقة بينهما بشيئين هما: التنصيص، والاستدلال.

فأمّا التنصيصُ فهو أن يصرّح واضع اللغة بقوله: هذا حقيقة، وهذا مجاز، أو أن يميّز كلّ واحد من الحقيقة والمجاز بحدّ يخصّه، أو يذكر لكلّ واحدٍ منهما خاصّة تخصّه، أو ينصّ في بعض الألفاظ على أنها متى استعملت هذه اللفظة في هذا المحل فهي حقيقة، ومتى استعملتها في محل آخر فهي مجاز، أو متى استعملت هذه اللفظة مطلقة فهي حقيقة، ومتى استعملتها مقيّدة فهي مجاز[٢٩].

وأمّا الاستدلال فهو أن ندرك من الكلام ما يوقفنا على أمور تشعرنا بالتفرقة بينهما، وذلك من وجوه أربعة:

١- أن تُستعمل في معنيين، أحدهما يكون سابقًا إلى الفهم عند إطلاق اللفظ من غير قرينة، والآخر لا يفهم عند الإطلاق إلاّ بقرينة، فيعلم أنها حقيقة في السابق دون المتأخر، فيعلم بالاضطرار إلى قصد الواضع أنّ اللفظ لولا أنّه حقيقة في ذلك المعنى لما كان سابقًا إلى الأفهام دون غيره.

(٢٨) نفسه: ج١ ص ٨٥، ٨٦.

(٢٩) نفسه: ج١ ص ٩٠، ٩١.

٢- أن يعلم من أهل اللغة أنهم متى أرادوا إفهام غيرهم معنًى من المعاني، اقتصروا على عبارات مخصوصة، وإذا غيروا بذلك اللفظ إلى معنى آخر لم يقتصروا عليها، بل ذكروا معها قرينة، فيعلم قطعًا بهذا التصرف أنّ الأول حقيقة، والثاني مجاز.

٣- أنهم إذا علّقوا الكلمة بما يستحيل عقلاً تعلّقها به، عُلم أنّها في أصل اللغة غير موضوعة لها فيعلم كونها مجازا فيها، وهذا كقوله تعالى: ﴿**وجاء ربك**﴾ فإنه يستحيل عقلاً تعلّق المجيء بالذات، لاستحالته عليها، فيعلم أن استعمالها مجاز، وأنّ الأصل وجاء أمر ربك، وكقوله تعالى: ﴿**واسأل القرية**﴾ فإنّه لا يمكن سؤال القرية، فعلمنا أنه لا بدّ من محذوف تقديره، واسأل أهل القرية.

٤- أن يضعوا لفظاً لمعنى ثم يتركوا استعماله على العموم، وأطلقوه على بعض مجاريه كذوات الأربع، ثم قصروه بعد ذلك على بعض تلك المجاري، كالحمار، فعلمنا كونه مجازا بالإضافة إلى وضعه العرفي، ومثاله لفظ الدابة فإنها بالوضع اللغوي لكلّ حيوان، ثم تُعورف وضعها في ذوات الأربع من الحيوانات، وصار حقيقة فيها عرفًا، فإذا قصروها على الحمار من ذوات الأربع كان مجازاً لا محالة بالإضافة إلى العرف، فهذه الفروق الواضحة[٣٠].

وتحدّث العلوي في كتابه «مشكاة الأنوار» كذلك عن المجاز ووجوده في القرآن، فقال: «ولو قلت إنّ أكثر القرآن مجاز، بل لا يخلو شيء من الكلام عن المجاز لم أكن مجازفًا... وأمّا وجهُ إنكار المجاز فقد أطنب العلماء في شرح قوانينه، وتناقلته الألسنة، وتواتر استعماله عن أئمة اللغة»[٣١].

وخلاصة آرائه في هذه المسألة أنّ المجازَ ركنٌ من أركان البلاغة، فهو يكسب اللفظ جزالةً، ويلبس المعاني من الرقّة والصفاء، ووجوده في القرآن وفي كلام البلغاء أمرٌ واضح للعيان، ومنكره مجانبٌ للصواب.

---

(٣٠) نفسه: ج١ ص ٩٠ - ٩٤.

(٣١) مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار - تحقيق محمد السيد الجليند، ط١ دار الفكر الحديث القاهرة ١٩٧٣م، ص ١٥٨ - ١٦٠.

(ب) الأسلوب وطرائق العرض:

يعرضُ العلوي مسائل البلاغة - بصورة عامة - بأسلوب مرسل خالٍ من السّجع والزخرفة اللغوية، وذلك على الرغم من انتمائه إلى تلك العصور التي شاعت فيها أساليب الصَنعة والتأنّق في التعبير، وإن كان يميل في بعض المواطن إلى استخدام الأسلوب الأدبي المسجوع ولا سيّما في المقدّمات، وفي مطالع بعض الفصول والخواتيم، غير أنّه في شرحه وتحليله للنصوص يعتمد على طريقة في العرض واضحة ميسّرة، ويكون همّه متّجهًا إلى إيضاح فكرته بأسهل أسلوب وأقربه، وقد بدَا واضحًا تأثّر العلوي في منهجه هذا بابن الأثير في كتابه المثل السائر.

ويرى بدوي طبانة أنّ الأسلوب المسجوع هو الأسلوب الغالب على التعبير عند العلوي، وكان هو السبب في إعاقة أهدافه، لأنّه أغشى على الحقائق التي يراد توضيحها وتجليتها[٣٢]، ولكنّ المتأمّل في كتاباته يلحظ غير ذلك؛ إذ إنّ الأسلوب الغالب على تعبيره هو الأسلوب المرسل، على الرغم من ميل صاحبه إلى تخيّر الألفاظ في تعبيراته وتحليلاته البيانية.

وعند النّظر في كتابات العلوي نجد أنّ الأداء التعبيري عنده يتّخذ ثلاثة مستويات من الأسلوب هي: الأسلوب التعليمي، والأسلوب المرسل الجميل، والأسلوب الأدبي المتصنّع.

١- الأسلوب التعليمي:

حدّد العلوي هدفه من دراسة البلاغة في مقدّمة كتابه الطراز، حيث بيّن أنّ الباعث وراء تأليف الكتاب أن يكون مرشدًا يعين على فهم بلاغة الزمخشري في الكشاف، فهذا الهدف التعليمي جعله يتّجه إلى اختيار الأسلوب الذي يتناسب مع طبيعة التعليم ومقتضياته، تلك الطبيعة التي تحتاج إلى الشرح، والتوضيح، والمناقشة، كما تقتضي أسلوبًا تلقينيًا مباشرًا في كثير من الأحيان، وهي سنّة متبعة عند علمائنا القدامى، ولهذا الأسلوب ملامح واضحة، بعضها كان معروفًا عند غيره من البلاغيين السابقين من أمثال عبد القاهر وابن الأثير، وبعضها كان خاصًّا به.

(٣٢) البيان العربي: ص ٣٤٥.

فمن الملامح المطّردة عنده استخدامه لصيغة (اعلم) في مطالع المباحث والفصول، وهي صيغة تعليمية معروفة عند العلماء القدامى، فمن ذلك قوله في الإيجاز: «اعلم أنّ ما عدا العلوم التي تُعدّ من علم الأدب فهي عقلية ودينية»[٣٣]، وتمكّنُ هذه الصيغة العلويَ من مخاطبة القارئ مباشرة، ولفت انتباهه إلى ما سيذكره من قضايا مهمّة في دراسة البلاغة.

ولعلّ من الملامح التي خُصّ بها العلوي في أسلوبه هذا استخدامه لعنواني (**وهم وتنبيه**)، و (**خيال وتنبيه**) في سياق توضيحه لبعض المسائل التي قد لا تتّفق مع رأيه، أو في سياق الإجابة عن أسئلة يتوقّع أن يوجّهها المخاطب إليه، ومن أمثلة ذلك قوله بعد تعريف علم البيان عند أهل الاصطلاح: «**خيال وتنبيه** فإن قال قائل: إنّ ما ذكرتموه من هذه التعريفات مختلفة في أنفسها، لأنّ كلّ واحدٍ منها يفيد فائدة مخالفة لما يفيدُه الآخر، فلهذا حكمنا بكونها مختلفة، ومهما كانت التعريفات مختلفة كانت الحقائق في ذواتها مختلفة، فكيف جعلتموها دالّة على حقيقة واحدة، وجوابه هو أنّها مع اختلافها، وتباين أحوالها لا يمتنع كونها دالّة على حقيقة واحدة، وهذا غير ممتنع، فإنّ الأشياء المتغايرة قد تكون دالّة على معنًى واحد كالألفاظ المترادفة»[٣٤].

ويبدو أنّ العلوي هو من البلاغين الذين استخدموا كثيرًا مثل هذه الإشارات والتنبيهات في علوم البلاغة، مع أنّ عبد القادر حسين يرى أنّ محمد بن علي الجرجاني (-٧٢٩هـ) هو أولُ من اتّبع هذا المنهج في كتابه (الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة)[٣٥]، ونحن نرجّح أنّ العلوي سبق الجرجاني في الإكثار من استخدام هذه الطريقة؛ لأنّه انتهى من تأليف كتابه الطراز سنة (٧٢٨) للهجرة[٣٦]، بينما فرغ الجرجاني من تأليف كتابه سنة (٧٢٩) للهجرة.

ويسوق العلوي في بعض الأحيان جانبًا من المباحث تحت عنوان (**دقيقة**) أو (**إشارة**)، وهي عبارة عن تعقيبات على بعض المسائل البلاغية التي يرى أنّها بحاجة إلى توضيح ومزيد بيان، وهي أيضًا بمنزلة الاستدراكات التي يحترز بها عن اللبس أو الغموض الذي

(٣٣) الإيجاز لأسرار كتاب الطراز: ورقة رقم ٦.

(٣٤) الطراز: ج١ ص ١٤.

(٣٥) كتاب الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: تحقيق عبد القادر حسين، ط١ دار نهضة مصر القاهرة (د. ت)، ص (م) من مقدمة المحقق.

(٣٦) انظر الطراز: ج ٣ ص ٤٦٦.

قد يعتري المتعلّم، يقول مثلاً في توضيح مقتضى الحال: «**دقيقة**: اعلم أنّ مقتضى الحال عبارةٌ يطلقها علماء البيان ويستعملونها، ولا بدّ من الكشف عن عورها؛ ليفهم المراد منها، فإنها ممّا يكثر دوره، ولهذا جعلوها عمدة في تقرير ماهية علم المعاني، فنقول:...»[٣٧].

٢- الأسلوب المرسل:

أدرك العلوي أنّ تيسير علوم االبلاغة لتلاميذه لا يتحقّق إلاّ باستخدام الأسلوب الذي يعرض المادّة البيانية في صورة مبسّطة، قريبة إلى الأفهام والعقول، بعيدة عن الصنعة والتكلّف، فلذلك جاء أسلوبه مرسلاً في غالب الأحيان، وخاصّة حين يتناول النّصوص والشواهد بالتحليل والشرح، ويبدو أنّه اتّبع في ذلك طريقة ابن الأثير الذي برع في الأسلوب المرسل الدقيق في كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»[٣٨]، ولعلّ هذا الأسلوب المرسل هو من ملامح التميّز والأصالة في منهج العلوي البلاغي، وهو ركيزة أساسية في التيسير الذي وعد به في مقدّمة كتاب الطراز، يقول أحمد مطلوب في هذا الشأن: «والعلوي بهذه الطريقة كان موفقًا كلّ التوفيق؛ لأنّه عُني بالأدب وفنونه، كما اهتم بقواعد البلاغة وأصولها، وبذلك ابتعد عن الجفاف الذي اتّصف به السكاكيّ والقزويني والشرّاح والملخّصون»[٣٩].

٣- الأسلوب الأدبي المتصنّع:

يميل العلوي في أحيان قليلة إلى استخدام الأسلوب المسجوع، وهو الأسلوب الذي كان مهيمنًا على الكتابة العلمية والأدبية في عصره، ويظهر هذا الأسلوب أكثر ما يظهر في مقدّمات الفصول والأبواب، ومع أنّ اختيار الألفاظ، وتأليفها في عبارات مسجوعة لا يعدّ سمةً بارزة، ومنهجًا واضحًا في تعبيره، إلاّ أنّ العلوي مضطرٌ في بعض الأحيان إلى خطاب الذوق السائد في عصره بمثل هذا الأسلوب المزخرف، ومن أمثلة ذلك قوله في مقدّمة الطراز: «إنّ العلوم الأدبية وإن عظُم في الشرف شأنها، وعلا على أوج الشمس

(٣٧) الإيجاز لأسرار الطراز، ورقة رقم: ٣٤.

(٣٨) تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة - ط ١ دار النهضة القاهرة (د. ت).

(٣٩) مناهج بلاغية - أحمد مطلوب: ص ٢٧٢.

قدرها ومكانها، خلا أنّ علم البيان هو أمير جنودها، وواسطة عقدها، وفلكها المحيط الدائر، وقمرها السامر الزاهر»[٤٠]؛ ولكن مع وجود هذا النمط من الأسلوب المتصنّع، يبقى الأسلوب المرسل هو الشائع في كتابات العلوي البلاغية كما ذكر في السابق.

(جـ) آراؤه في إعجاز القرآن:

لعلّ من سمات المنهج البلاغي عند العلوي ذلك الربط القوي بين مسائل البلاغة ومباحث إعجاز القرآن، فاتجاهُ العلوي لدراسة البلاغة كان أساسًا من أجل أن يمتلك طلابُه القدرة على معرفة الإعجاز القرآني، وتذوّق بلاغته ونظمه، ولذلك نجده يتعجّب من بعض علماء البلاغة الذين لم يتناولوا قضية الإعجاز في مصنّفاتهم، يقول: «والذي يُقضى منه العجب، هو حال علماء البيان وأهل البراعة فيه عن آخرهم، وهو أنّهم أغفلوا ذكر هذه الأبواب في مصنّفاتهم، بحيث إنّ واحدًا منهم لم يذكره مع ما يظهر فيه من مزيد الاختصاص وعظم العُلقة، لأنّ ما ذكروه من تلك الأسرار المعنوية، واللطائف البيانية من البديع وغيره، إنما كانت وصلة وذريعة إلى بيان السّرّ واللباب، والغرض المقصود عند ذوي الألباب إنّما هو بيان لطائف الإعجاز، وإدراك دقائقه، واستنهاض عجائبه»[٤١].

وتباين مناهج الدارسين أمر طبيعي تشهد به تآليفهم ومدارسهم المختلفة، وانتقاد العلوي للبلاغيين في هذه المسألة مبنيٌ - فيما يبدو - على رغبته الصادقة في الكشف عن الإعجاز القرآني، وبيان أهمّيته وعلاقته الوطيدة بعلم البلاغة، وخلاصة ما يهدف إليه الدرس البلاغي معرفة سرّ الإعجاز، ولكن يبقى الفصل بين علم البلاغة وعلم الإعجاز عند بعضهم أمرًا تفرضه طبيعة العلمين، لا سيّما بعد تطوّرهما الكبير في العصور المتأخرة.

لقد كان مقصد العلوي الأول فيما ذكره في مقدّمة الطراز دراسة علوم البلاغة الثلاثة، وبيان قواعدها وحدودها الاصطلاحية، وقد جعل الكلام عن الإعجاز بمنزلة التكملة والتتمة لمقصده الرئيس، غير أنّه أشار إشارةً خاطفةً إلى أنّ موضوع الإعجاز مقصدٌ من مقاصد منهجه، قال: «والذي نريد ذكره في هذا الفنّ هو الكلام فيما يتعلّق بأسرار القرآن، ونحن وإن ذكرناه على جهة التتمة والتكملة، فهو في الحقيقة المقصود، والغرضُ

(٤٠) الطراز: ج ١ ص ٢.

(٤١) نفسه: ج ٣ ص ٣٦٨، ٣٦٩.

المطلوبُ»[٤٢]، ولذلك يجد القارئ لكتابه الطراز أنّ موضوع الإعجاز البياني مالكٌ عليه نفسه، وشاغل لاهتمامه، فهو لا ينفك من الإشارة إليه في مواطن كثيرة من كتابه، فضلاً عن الذي ذكره في تعريفه وبيان أنّه من أفضل ما كُتب عند الأقدمين، وكأنه بهذا المنهج يسعى إلى تجديد منهج شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني الذي كان حجّة في هذا الفنّ.

ويتصدّر حديث العلوي عن قضية الإعجاز ذكرُ المزايا الراجعة إلى فصاحة اللفظ القرآني، ثمّ يتحدّث عن المزايا الخاصّة بمعانيه الشريفة، ثم يتّجه إلى بيان معنى الإعجاز من جهة العادة، ثمّ يسوق أوجه الإعجاز المختلفة متعرّضًا لها بالمناقشة والنقد، مع بيان الوجه المختار منها، ثمّ يورد جملة من المطاعن التي قيلت في القرآن محاولاً ردّها، ودفعها بحججه واستدلالاته الكلامية البارعة.

وقد نقدَ العلوي نقدًا مستفيضًا أوجه الإعجاز الكثيرة لكي يصل إلى هدفه من الانتصار للوجه البياني الكامن في الفصاحة والنّظم، يقول: «والذي نختاره في ذلك ما عوّل عليه الجهابذة من أهل هذه الصناعة الذين ضربوا فيها بالنصيب الوافر، واختصوا بالقدح المعلى، والسهم القامر، فإنهم عوّلوا في ذلك على خواص ثلاث هي الوجه في الإعجاز:

الخاصّة الأولى: الفصاحة في ألفاظه على معنى أنّها بريئة عن التعقيد، خفيفة على الألسنة تجري عليها كأنّها السلسال، رقّة وصفاءً، وعذوبةً وحلاوةً.

الخاصّة الثانية: البلاغة في المعاني بالإضافة إلى مضرب كلّ مثل، ومساق كلّ قصة وخبر، وفي الأوامر والنواهي، وأنواع الوعيد، ومحاسن المواعظ، وغير ذلك مما اشتملت عليه العلوم القرآنية، فإنّها مسوقة على أبلغ سياق.

الخاصّة الثالثة: جودة النّظم، وحسن السياق، فإنّك تراه فيما ذكرناه من هذه العلوم منظومًا على أتّم نظام وأحسنه وأكمله»[٤٣].

إنّ اهتمام العلوي بقضية الإعجاز قادهُ إلى الإكثار من الأمثلة القرآنية، وتقديمها على غيرها في الاستشهاد والبرهنة، وكثيرًا ما نراه يختار آيات من القرآن، ثمّ يقف عندها

(٤٢) نفسه: ج٣ ص ٢١٣.

(٤٣) نفسه: ج٣ ص ٤٠٠، ٤٠١.

شارحاً ومفصلا لأسرارها البلاغية والتركيبة وبلاغتها في الألفاظ والمعاني، وهو أمرٌ ميّز منهجه البلاغي وجعله في هذا الشأن قريباً من منهجي عبد القاهر وابن الأثير، وقد كان العلوي معجباً أشدّ الإعجاب بمنهج عبد القاهر، معترفاً بفضله وتقدّمه في الكشف عن الإعجاز، وتأسيس قواعد علم البلاغة، وصرّح بذلك في مقدمة الطراز فقال: «وأوّل من أسّس من هذا العلم قواعده، وأوضح براهينه، وأظهر فوائده، ورتّب أفانينه، الشيخ العالم النحرير علم المحقّقين عبد القاهر الجرجاني، فلقد فكّ قيد الغرائب بالتقييد، وهدّ من سور المشكلات بالتسوير المشيد .... فجزاه اللّه عن الإسلام أفضل الجزاء»[٤٤].

وخلاصةُ هذا العرض الموجز أنّ ذلك الربط بين البلاغة وعلم الإعجاز عند العلوي هدفه - فيما يبدو - السعي إلى تجديد منهج شيخ البلاغيين عبد القاهر، وذلك في العودة بالبلاغة إلى الذوق والطبع، وربطها بدراسة الإعجاز القرآني، والإكثار من الأمثلة والشواهد القرآنية والأدبية، وتحليلها بالأسلوب الأدبي الواضح الذي يُيسّر تلك القواعد الجافّة، ويقرّبها إلى الأذهان والقلوب.

القسم الثاني: التيسير البلاغي عند العلوي

١- الاتجاه إلى تيسير البلاغة

يلحظ الباحث عند استقراء تاريخ الدراسات البلاغية أنّ العلوي من أوائل البلاغيين الذين دعوا صراحةً إلى تيسير علوم البلاغة، ولعلّ هذا هو الذي ميّز منهجه في كتابه الطراز عمّا سبقه من كتب البلاغة الأخرى التي كانت تُعنى بالتنظير أكثر من التيسير، قال في بيان ذلك: «يمتاز هذا الكتاب عن سائر الكتب المصنّفة في علم البلاغة بالترتيب الذي يُطلع الناظر من أول وهلة على مقاصده من التسهيل والتيسير، والإيضاح والتقريب، لأنّ مباحث هذا العلم في غاية الدّقة، وأسراره في نهاية الغموض، فهو أحوج العلوم إلى الإيضاح والبيان، وأولاها بالفحص والإتقان»[٤٥].

وقبل الحديث عمّا إذا كان العلوي قد وُفق في هدفه هذا، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا الهدف على قدر كبير من الأهمية، فقد أشار العلوي إلى تلك الصعوبة التي بدأت ملامحها تطغى على الدرس البلاغي في عصره، وأصبحت الحاجة داعية إلى التبسيط والتيسير

(٤٤) نفسه: ج ١ ص ٤.

(٤٥) نفسه: ج ١ ص ٦.

اللذين يأخذان بأيدي الدارسين إلى معرفة فنون هذا العلم ومقاصده بأيسر الطرائق وأفضل السبل. وقد عرض لمنزلة علم البلاغة بين علوم العربية، وأشار إلى التعقيد الذي اكتنف بعض مسائله، وأدى ذلك إلى «صعوبة البحث فيه لما فيه من الغموض ودقّة الرموز، واحتوائه على الكثير من الأسرار والكنوز، بعد أن استولت عليه يدُ النسيان والذهول، وآلت نجومه وشموسه إلى الانكساف والأفول، ولم يختص بإحرازه من العلماء إلاّ واحد بعد واحد»[٤٦].

ويرى العلوي أنّ كثيراً من علماء البلاغة، وجهابذة البيان قد خاضوا في تقرير قواعد هذا العلم، وقلّبوها على وجوهها كافة، ولكنّهم أتوا فيها بالغثّ والسمين، والنازل والثمين، وهم في ذلك فريقان: «فريق بسط كلامه فيه نهاية البسط، وخلط فيه ما ليس منه، فكانت آفته الإملال، ومنهم من أوجز فيه غاية الإيجاز، وحذف بعض مقاصده، فكانت آفاته الإخلال، ولكنّه أشار إلى أنّ الشيخ عبدالقاهر الجرجاني هو مؤسّس قواعد هذا العلم، بما أظهر من براهينه، ورتّب من أفانينه، وبما وضّح من غرائبه، ومشكلاته»[٤٧]، وكأنّ العلوي بهذا الإطراء يعلن أنّ عهد البلاغة الزاهر هو في كتابات شيخ البلاغيين عبد القاهر، تلك البلاغة التي ارتقت بالذوق الأدبي إلى إدراك قوانين البيان، ومعرفة أسرار النظم والتركيب في القرآن، ومهّدت إلى عهد جديد في تاريخ الدراسات البلاغية.

ويبدو أنّ العلوي - في مسعاه إلى تيسير البلاغة لأهل عصره - قد اختار منهجاً ارتضاه يجمع بين شرح القواعد شرحاً مدعماً بالشواهد والنصوص، وعلى الرغم من سيطرة النزعة الكلامية على جوانب من كتاباته؛ فقد جاءت هذه القواعد معروضة بصورة هي أفضل ترتيباً، وأسلوباً، وتحليلاً للنصوص، ممّا نجده عند السّكاكيّ والقزويني، ومن سار على نهجهما من الشرّاح والملخّصين، ولعلّ الذي ساعده في ذلك اطلاعه وتأثره بأربعة مصادر قيّمة في هذا الفنّ، وقد ذكرها في مقدّمة كتابه فقال: «ولم أطالع من الدواوين المؤلفة فيه (علم البلاغة) مع قلّتها ونزورها إلاّ أكتبة[٤٨] أربعة: أولها كتاب «المثل السائر» للشيخ أبي الفتح نصر بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، وثانيها: كتاب «التبيان» للشيخ

(٤٦) نفسه: ج ١ ص ٣.

(٤٧) نفسه: ج ١ ص ٤.

(٤٨) يقصد كتباً أربعة، وجمع كتاب على أكتبه لم يرد في لغة العرب.

عبد الكريم[٤٩]، وثالثها: كتاب «النهاية» لابن الخطيب الرازي، ورابعها: كتاب «المصباح» لابن سراج المالكي[٥٠].

ومع أنّ العلوي لم يطّلع على كتابي عبد القاهر الجرجاني «الدلائل» و «الأسرار»، إلاّ أنّه كان معجباً بهما، كما ذكر ذلك في مقدمة الطراز[٥١]، ولعلّ السبب عائدٌ إلى عدم تمكنه من الحصول عليهما فيما يبدو، ولم يكن أمرًا مقصودًا من جانبه، ولذلك فقد استفاد ممّا نُقل منهما في تلك الكتب التي اطّلع عليها، ولا سيما كتاب المثل السائر لابن الأثير، ونهاية الإيجاز للفخر الرازي، وقد شكّك بدوي طبانة في أنّ العلوي قصر اطلاعه على هذه الكتب الأربعة مهما تكن قيمتها، وحجّته في ذلك أنّ هذه الكتب لا تكفي لتكون وحدها المراجع لهذا البحث المستفيض، والدراسة الخصبة التي نجدها في الطراز، فضلاً عن النقول الكثيرة عن المطرزي، وقدامة بن جعفر، والحاتمي، والغانمي، وأبي هلال العسكري، وغيرهم من علماء البلاغة والبيان[٥٢]، ويمكن القول إنّ كتاب المثل السائر - وهو المصدر الرئيس للعلوي - قد حوى: كثيرًا من تلك النقول التي ساقها في الطراز، فضلاً عن أنّ العلوي أكّد في رسالة له أنّه اطّلع على هذه المصادر وعلى مفتاح العلوم للسّكاكيّ، فقال: « وأمّا الكتب المقروءة في علم العربية فالمقدّمة لطاهر وشرحها، وشرح الجمل للشيخ طاهر أيضًا، والمفصّل للزمخشري، وشرح مقدّمة ابن الحاجب... وأمّا الكتب البيانية فمنها: كتاب التبيان لابن زملكا، وكتاب النهاية لابن الخطيب، وكتاب المفتاح للشيخ أبي يعقوب السكاكي»[٥٣].

ويَستندُ تيسير البلاغة عند العلوي على دعائم ثلاث هي: ترتيب المادة البيانية، وتحديد المفاهيم والمصطلحات البلاغية، وإيراد الشواهد والأمثلة من النصوص المتنوّعة وتحليلها، وسنعرض لهذه الدعائم بشيءٍ من الإيضاح لبيان أهمّيتها وما أضافه العلوي في هذا الجانب المهمّ.

(٤٩) هو كتاب التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن لعبد الواحد بن عبد الكريم المعروف بابن الزملكاني (٦٥١هـ).

(٥٠) الطراز: ج ١ ص ٣ - ٤.

(٥١) نفسه: ج ١ ص ٤.

(٥٢) البيان العربي: ص ٣٤٤.

(٥٣) رسالة: جواب لرجل من أهل الشام يسأله عن أحواله ومصنّفاته: ص ٣٦٤.

(أ) ترتيب المادة البيانية:

أراد العلوي أن يكون درسه البلاغي متميّزًا بالتيسير والإيضاح، ولا يتيسّر ذلك إلاّ باتباع منهجٍ في التأليف قائم على الترتيب الجيّد، والتبويب المناسب، لكي يكون ذلك عونًا للطالب ومساعدًا له في الوصول إلى مطلوبه بيسر وسهولةٍ، ويعطي هذا الترتيبُ فوق ذلك كلّه تصوّرًا متكاملاً عن علمٍ قد بدأت ملامحه وقواعده في الثبات والاستقرار، وقد كان العلوي على علمٍ بقصور بعض المؤلفات البلاغية في هذا الشأن، وخلوّها من حسن التبويب والإحكام في الترتيب، وكان يعلم أنّ من عناصر التجديد التي يمكن أن يضيفها ويجعلها ميزة في كتابه الطراز حسن توزيع المادة البيانية وترتيبها، وقد ذكر هذا في مقدّمة كتابه فقال: «يمتاز هذا الكتاب عن سائر الكتب المصنّفة في علم البلاغة بالترتيب الذي يُطلع الناظر من أول وهلة على مقاصده من التسهيل والتيسير، والإيضاح والتقريب»[٥٤].

وقد استفاد العلوي من معرفته الواسعة بعلم الكلام وعلم الأصول لوضع منهج متميّز في الترتيب، ولولا أنّه أسرف في التقسيمات والتفريعات لكان منهجه هذا متسقًا تمامًا مع غايته من تيسير قواعد البلاغة، وأشار أحمد مطلوب إلى تأثّره بمناهج المتكلّمين في هذا الشأن فقال: «ولعلّ هذا الكتاب من أهمّ الكتب التي تأثرت بعلم الكلام، لأنّ الكتب التي عاصرته لم تنتهج مثله في العرض والتحليل، والحصر والتقسيم، وإنّما اتجهت إلى تلخيص القزويني تشرحه أو تنظمه، فأصبحت بعيدة عن الأدب وقواعده الفنية، وأصوله الذوقية»[٥٥].

وقد رتّب العلوي مادته البلاغية وفق فنون ثلاثة:

الفنّ الأول: في **المقدّمات** التي يستعان بها على تحديد علم البلاغة وبيان مفهومه، وموضوعاته، ومنزلته بين العلوم الأدبية الأخرى، وتوضيح الفرق بين الفصاحة والبلاغة، ومعاني الحقيقة والمجاز، إلى غير ذلك من المقدّمات التي تمهّد السبيل إلى مقاصد العلم وأركانه.

(٥٤) الطراز: ج١ ص ٦.

(٥٥) مناهج بلاغية: ص ٢٧٤.

الفنّ الثاني: في **المقاصد**، وهي المباحث المتعلّقة بعلوم البلاغة الثلاثة، علم المعاني، والبيان، والبديع، وشرح مصطلحاتها، وبيان أقسامها وخصائصها المميّزة لها عن غيرها من خلال الشواهد والنصوص.

الفنّ الثالث: في **التتمّات**، وهي المباحث المكمّلة لعلوم البلاغة، مثل فصاحة القرآن وبلاغته وإعجازه، وبيان آراء العلماء في وجوه الإعجاز، والوجه المختار منها.

ويلاحظ في هذا الترتيب أنّه تناول علوم البلاغة كلّها في فنّ المقاصد بعد أن قدّم لها بمقدّمات توضيحية للمصطلحات، ودلالة الألفاظ على المعاني، وقضية الحقيقة والمجاز، ثمّ كانت خاتمة المباحث دراسة الإعجاز القرآني الذي يعدّ الهدف الأول من دراسة البلاغة عند العلوي، ويمكن لبعض المناهج الحديثة الداعية إلى تيسير البلاغة الاستفادة من كتابات العلوي ومنهجه، فهي تدعو إلى إلغاء التقسيم الثلاثي، وجعل البلاغة قسمًا واحدًا، وبحث موضوعاتها مستقلة، أو بحث مستوياتها الثلاثة: الصوتي، والتركيبي، والدلالي، وهي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، بعد تجريدها مما علق بها من مباحث أبعدتها عن هدفها، وتذوّق الأدب الرفيع[٥٦].

(ب) الدقّة في تحديد المصطلحات البلاغية:

تميّز العلوي في منهجه البلاغي بالاستقصاء، فلم يترك شاردةً ولا واردةً من مسائل البلاغة إلاّ عرضها عرضًا مفصّلاً دقيقًا، واستعان بآراء العلماء السابقين والمعاصرين له، وعرض لكلّ مسألة من مسائل البلاغة التي قد يعتريها خلل أو قصور في المفهوم، فبيّن الأوهام التي وقع فيها غيره مدليًا برأيه، ومصحّحًا للمفاهيم البلاغية التي سادت قبله.

وقد اهتم العلوي اهتمامًا كبيرًا بالمصطلح البلاغي، وناقش بشأنه كبار العلماء السابقين من أمثال عبد القاهر، والزمخشري، وابن الأثير، وغيرهم، وما من مصطلح إلاّ وله فيه نظرات وإضافات، ولعلّ الذي ساعده في ذلك معرفته الواسعة بعلم الكلام، وقدرته على الحجاج والمناقشة، ورغبته الأكيدة في توضيح الحدود والتعريفات، وسعيه إلى الإضافة في هذا الجانب الذي اهتم به البلاغيون ودارسو الإعجاز في عصره.

(٥٦) انظر: تيسير البلاغة – أحمد مطلوب، مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج ٤ مجلد ٧٣، سنة ١٩٩٨م، ص٨٨٠.

يقول محمد أبو موسى عن اهتمام العلوي بالمصطلح البلاغي: «إنّ العلوي قد شغل جزءاً كبيراً من كتابه في مناقشة البلاغيين في تعاريف هذا العلم، وبيان ماهياته، وتحديد مسائله، وناقش البلاغيين وخطّأهم جميعًا فيما ذكروه من حدود، ولم يسلم واحدٌ منهم، حتّى الجرجاني الذي أسّس هذا العلم - كما يقول العلوي - لم يكن تعريفه مبرأ من عيب، والملاحظ أنّ مناقشاته لهم، وبيانه وجه الفساد فيما ذكروه كانت مبنية على معرفة دقيقة، بما يجب أن يتوفّر في الحدود من الشروط والقيود»[٥٧].

والحقّ أنّ العلوي لم يُخَطّئ البلاغيين جميعًا في آرائهم، بل إنّه أثنى على الكثير من أقوالهم، ومدح أصحابها، ولم يكن يُخَطّئ إلاّ ما يراه خطأً، ويُقدّم الدليل على ذلك، ولنأخذ مثالاً على منهجه في تحديد المصطلحات، وذلك فيما ذكره في بيان مفهوم الكناية، فقد بيّن بدايةً وظيفة الكناية وأهمّيتها في البلاغة، ونبّه على الزلل الذي يقع فيه كثيرٌ من الفِرَقِ بسبب التأويل الباطل، وعدم فهم أساليب العرب في كلامها، مثل فرق الباطنية وغيرهم من أهل البدع، ثمّ اتّجه إلى دراستها بمنهج متناسق، فعرَّفها في اللغة أولاً، ثم اختار لها أقوى التعريفات وأشهرها وناقشها جميعًا، ثم قدَّم تعريفه الجديد لها، ثمّ ناقش علاقة الكناية بالمجاز والتعريض قبل أن يقدّم من الشواهد والأمثلة على أنواعها وأقسامها.

لقد ردّ العلوي تعريفات عبد القاهر الجرجاني، وبدر الدين بن مالك، وابن الأثير لافتقادهما لشرطي الدقّة **والخصوصية**، فعبد القاهر يعرّف الكناية بقوله: «هي أن يريد المتكلّم إثبات معنًى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ويأتي بتاليه وجودًا، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه»[٥٨]، وهذا التعريف في منظور العلوي غير دقيق في اختيار كلمة (يومئ)، لأنّ كلمة الإيماء تحتمل الحقيقة كما تحتمل المجاز، كما أنّها ممّا ينطبق على الاستعارة، لأنّك إذا قلت: رأيت الأسد، ولقيت البحر، فإنّك قد تركت اللفظ الموضوع للشجاعة والكرم، وأتيت بتاليهما، وأومأت بهما إليه، وإذا دخلت الاستعارة في التعريف كان باطلاً، لأنّه لم يفد خصوصية الكناية[٥٩].

وأمّا التعريف الذي اختاره العلوي للكناية فهو «اللفظ الدال على معنيين مختلفين،

(٥٧) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ط١ دار الفكر العربي القاهرة (د. ت)، ص ٥٩٤.
(٥٨) أسرار البلاغة: ص ٦٦.
(٥٩) انظر الطراز: ج ١ ص ٣٦٦، ٣٦٧.

حقيقة ومجاز من غير واسطة، لا على جهة التصريح»[٦٠]، فهذا التعريف - في رأيه - هو الأنسب للكناية لكونه خاصًّا بالكناية فقط، فقوله: «اللفظ الدال»، أخرج به التعريض الذي يستفاد من غير اللفظ، وقوله: «حقيقة ومجاز»، يُحترز به عن اللفظ المشترك، وقوله: «من غير واسطة»، يحترز به عن التشبيه، وقوله: «لا على جهة التصريح»، يُحترز به عن الاستعارة، لأنها تدلّ على المعنى من جهة التصريح[٦١].

وتعريف العلوي دقيق في دلالته على الكناية، ولو أنه حذف عبارة «من غير واسطة» لكان أفضل وأوجز، إذ لا وجه للبس بين الكناية والتشبيه، أمّا الالتباس عند المخاطب فيحدث في العادة بين الكناية من جهة، والمجاز والاستعارة والتعريض من جهة أخرى.

إنّ تعريفات العلوي للمصطلحات البلاغية ليست في مستوى واحد من حيث الإحكام والصناعة، ومن حيث وضوحُ الدلالة على المقصود، فعلى الرغم من دقّة العلوي في اختيار الألفاظ، وحرصه على الإضافة في هذا الجانب المهمّ، إلاّ أنّ أثر الثقافة الكلامية قد بدا واضحًا في صياغتها.

لقد حوت كتبُ العلوي مصطلحات بلاغية ونقدية كثيرة، وقد كان منهجه عند ذكر أي مصطلح من المصطلحات أن يقوم أولاً بتعريفه في اللغة، ثمّ يحدّد مفهومه الاصطلاحي عند علماء البيان، ثمّ يدلي بدلوه في غالب الأحيان فيقدّم تعريفه الخاص به بعد مناقشة السابقين، ويأتي بعد ذلك بالشواهد الموضحة لهذا المصطلح من القرآن الكريم وكلام الفصحاء.

إن العناية بتعريف المصطلحات البلاغية وتحديدها تحديدًا دقيقًا، وبألفاظ واضحة الدلالة لهي من أهمّ الأهداف في تيسير الدرس البلاغي، كما أنّ تخلية البلاغة ممّا علق بها من مصطلحات غريبة، ومسائل بعيدة عن روحها، والسعي إلى توحيد هذه المصطلحات، والأخذ بأكثرها دلالة على الفنّ البلاغي، كلّ ذلك من الملامح الضرورية في تيسير المصطلح البلاغي وتطويره في العصر الحديث[٦٢].

---

(٦٠) نفسه: ج ١ ص ٣٧٣.

(٦١) نفسه ج ١ ص ٣٧٤

(٦٢) انظر تيسير البلاغة - أحمد مطلوب: ص ٨٨١.

(جـ) اختيار الشواهد والنّصوص وتحليلها:

لعلّ من السمات الواضحة في منهج العلوي في دراسة البلاغة ذلك الاهتمام الكبير بالشواهد الأدبية، ويتّسع هذا الباب ليشمل نماذج متنوعة من الشواهد التي تأتي في سياق شرح المصطلحات البيانية، ومناقشتها وتوضيحها، وقد اختار العلوي منهجاً فريداً قائماً على تقديم الشاهد القرآني أولاً، ثمّ الشاهد من الحديث النبوي الشريف، ثمّ الشاهد من كلام الإمام علي - رضي الله عنه - ثمّ الشواهد من كلام العرب نظماً ونثراً[٦٣]، والملاحظ أنّه جعل كلام الإمام علي في مرتبة ثالثة بعد القرآن الكريم والحديث الشريف؛ لمحبّته الشديدة لآل البيت الذين ينتسب إليهم، وهو ما عليه كذلك مذهب الزيدية الذي ينتمي إليه، ثمّ لإيمانه بتفوّق كلامه على كلام البلغاء الآخرين من العرب[٦٤].

وقد اقتضى منه هذا المنهج تقديمَ شواهد النثر على شواهد الشعر، وذكر نماذج أخرى من النصوص التي لم يذكرها غيره في سياق الاستشهاد وتوضيح المسائل، وقد كان العلوي مجدّداً في هذا الجانب؛ إذ لم يكتفِ بترديد ما تعارف عليه الدارسون من شواهد، وإنّما أضاف إلى درسه البلاغي ما رآه محقّقا للتيسير والوضوح، وكذلك لا يكتفي العلوي بإيراد الشواهد، بل يقوم بتحليلها تحليلاً أدبياً، يكشف عن بلاغتها، وهو بذلك يختلف عن كثير من البلاغيين المعاصرين له[٦٥].

وهذا المنهج في حقيقته عودةٌ إلى طريقة شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني، الذي ذاع صيته بمنهجه البارع في اختيار الشواهد وتحليلها، والسعي إلى استجلاء مواطن الجمال فيها.

وإنّ اهتمام العلوي بالشاهد البلاغي باختياره من النصوص القديمة والحديثة، ثمّ تناوله بالتحليل والشرح - كلّ ذلك يدل على ذوقه في حسن الاختيار، وعلى تأثّره الكبير بطريقة ابن الأثير، ومن أمثلة ذلك اختياره لشاهد من القرآن الكريم في باب الكناية، وهو

(٦٣) انظر: المصطلحات البلاغية والنقدية في كتاب الطراز للعلوي - عبد الرزاق أبو زيد زايد، ط ١، مكتبة الشباب القاهرة ١٩٨٨م، ص ١٢.

(٦٤) انظر رسالته: «الرسالة الوازعة للمعتدين عن سبّ صحابة سيّد المرسلين» التي يتحدّث فيها عن محبّته وتفضيله للإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ص ١٩ - ٢٧.

(٦٥) انظر: المصطلحات البلاغية والنقدية في كتاب الطراز للعلوي: ص ١٢.

قوله تعالى: ﴿أيحبُّ أحدُكم أن يأكلَ لحمَ أخيه ميتًا فكرهتموه﴾ (الحجرات: ١٢)، وقد حلّله مستخرجاً ما فيه من نكتٍ بلاغية، وأسرار تركيبية، فمن ذلك قوله «قوله تعالى ﴿أيُحبَ أحدكم﴾، إنّما جعله محبوباً لما جُبلت عليه النفوس، ومالت إليه الأهواء من الإسراع إلى الغيبة، والإصغاء إلى من يتحدّث بها، مع ما فيها من الحَظر، ووعيد الشرع، فلهذا صدّرها بالمحبة، مشيراً إلى ما ذكرناه، ويؤيّد ما ذكرناه أنّه أتى فيها بلفظ المحبّة، ولم تجئ بلفظ الإرادة، دالا بذلك على موقعها في النفوس، وتطلّع الخواطر إليها، ولفظ الإرادة يُعطي هذا المعنى، ولا يتمكّن في الأفئدة تمكّن المحبّة؛ فلهذا آثره»[٦٦].

ولعلّ منهج العلوي هذا منسجمٌ تماماً مع دعوته إلى تيسير البلاغة، فاختيار النصوص الأدبية الرفيعة، وتلمّس البلاغة فيما استجد من فنون أدبية تعبّر عن الحياة المعاصرة، ثمّ تحليل تلك النصوص تحليلاً أدبياً بعيداً عن التعقيد، قريباً إلى الفطرة والطبع، لإدراك ما فيها من قيم معنوية، وفوائدَ أسلوبية كلّ ذلك من أهمّ وسائل تيسير الدرس البلاغي وتبسيطه[٦٧].

٢- من عيوب المنهج عند العلوي

لقد كانت المزاوجة بين المنهج الأدبي والكلامي، والجمع بين التنظير والتيسير من أبرز السمات المميّزة لمنهج العلوي، ولكنّ هذا المنهج قد اعترته بعض العيوب التي يحسن التنبيه على بعضها في هذه الدراسة ولو بإيجاز، وتتجلى في مجملها في ثلاثة أشياء هي: التكرار، وكثرة التقسيم، واستخدام مصطلحات علماء الكلام.

(أ) التكرار:

كرّر العلوي بعض المسائل البلاغية في كتابه الطراز[٦٨]، ويظهر ذلك جليا فيما قام به في الفنّ الثالث الخاصّ بإعجاز القرآن من تكرار المادة الخاصّة بعلوم البلاغة مرةً أخرى، محاولاً ربطها بقضية الإعجاز، ومعتمداً فيها على الشواهد من القرآن الكريم، وقد علّل العلوي هذا التكرار بقوله: «وقد أشرنا في أول الكتاب إلى حقائق هذه الأشياء في تقرير

(٦٦) الطراز: ج ١ ص ٤٠٠.

(٦٧) انظر تيسير البلاغة - أحمد مطلوب : ص ٨٨١.

(٦٨) البلاغة تطور وتاريخ: ص ٣٢٣.

قواعدها، والذي نشير إليه ههنا هو أنّه قد فاق في هذه المعاني على غيره، وأنّ شيئًا من الكلام المتقدّم لا يدانيه، ولا يقاربه فيها»[٦٩].

فغاية العلوي من هذا التكرار إبراز تفوّق النظم القرآني من جهة البلاغة على غيره ممّا يعرفه العرب الفصحاء في كلامهم المنظوم والمنثور، ليصل إلى مقصده من إثبات الإعجاز وتعليله بالقواعد البلاغية، ويمكن القول إنّ ما قام به في الفنّ الثالث يصلح أن يكون كتابًا منفصلاً عن بلاغة القرآن وإعجازه، ولذلك حين تفطّن العلوي - فيما بعد - إلى غزارة المادة البيانية في كتابه الطراز، عمد إلى تلخيصه، متجنّبًا هذا التكرار إلى حدٍّ كبير في كتابه الجليل «الإيجاز لأسرار كتاب الطراز»[٧٠].

(ب) كثرة التقسيم:

أسرف العلوي في تقسيم موضوعات البلاغة إسرافًا واضحًا[٧١]، وكان يرى فيه ميزة في كتابه، وقد قاده هدفه التعليمي، ورغبته في الإيضاح والتيسير إلى اتباع هذا النهج الذي كان سائدًا في بيئة المتكلّمين، وإذا ما قدّرنا للعلوي رغبته الشديدة في تبسيط المسائل وتوضيحها بكثرة التقسيم، فإنّ القارئ لكتابه قد يجد ثقلاً في تتبع هذه التقسيمات الكثيرة، لأنّها تُضفي طابعًا علميًا خاصًّا على الأفكار والقواعد، كما أنّها قد تخرج البلاغة من إطارها الشائق الجميل، إلى إطار العلمية الجافة.

وقد كان ابن الأثير موفقا أكثر من العلوي حين اتّجه إلى تحديد القواعد البلاغية بطريقته الأدبية المعتمدة على تذوّق النصوص، والابتعاد عن كثرة التقسيم، وهو الأمر نفسه الذي عُرف به شيخ البلاغيين عبد القاهر من قبل، ولذلك تحرص بعض الدراسات الحديثة الخاصة بتيسير البلاغة على ضرورة التقليل من التقسيمات والتفريعات الكثيرة التي يضل الدارس فيها[٧٢].

(٦٩) الطراز: ج ٣ ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٧٠) انظر مقدّمة الإيجاز، ورقة رقم: ٢.

(٧١) مناهج بلاغية - أحمد مطلوب: ص ٢٧٤.

(٧٢) تيسير البلاغة - أحمد مطلوب: ص ٨٨١.

(جـ) استخدام مصطلحات علماء الكلام:

كان لمعرفة العلوي الواسعة بعلم الكلام، وتمكّنه من قواعده وأساليبه أثرٌ في منهجه البلاغي، وظهر ذلك في استخدامه لبعض المصطلحات الشائعة عند المتكلّمين وعلماء الأصول وقد شاع هذا الأمر بين كثير من البلاغيين الذين انتهجوا طريقة السكاكيّ، يقول بدوي طبانة عن العلوي وكتابه الطراز: «إن مؤلّف هذا الكتاب كما يبدو من أسلوبه، ومن أسماء مؤلفاته فقيه مُتكلّم، وقد ظهر أثر المنطق والاستدلال في كتابته، وفي مناقشته الآراء المختلفة التي أوردها لغيره في تحديد أو تقسيم»[٧٣]، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتاباته، وخاصّةً في تعريف المصطلحات.

واستخدامه لمصطلحات علماء الكلام مثل: الحدود، والماهيات، والتصوّر، والمحال، والحكم، والحقيقة، وغيرها من مصطلحات علماء الكلام هو من العيوب التي أساءت إلى منهجه الداعي إلى التيسير، وذلك على الرغم من انسجامها مع البيئة العلمية التي كانت سائدة في عصره، ولو تجرّد العلوي منها – ولو بصورة قليلة – لكان لكتاباته مكانة سامية في الدراسات البلاغية القديمة التي سعت إلى تيسير الدرس البلاغي.

(٧٣) البيان العربي: ص ٣٤٥.

الخاتمة:

كان العلوي أحد أئمة البلاغة في القرن الثامن الهجري، وهو أحد البلاغيين الذين اتجهوا إلى تيسير علوم البلاغة محاولاً العودة بها إلى ما يناسب الذوق والأدب، بعد أن بدأ الجفاف والتعقيد يتسربان إلى مسائلها ومناهجها، وقد استند منهجه في التيسير على دعائم ثلاث هي: ترتيب المادة البيانية، وتحديد المفاهيم والمصطلحات البلاغية، وإيراد الشواهد والأمثلة من النصوص المتنوعة وتحليلها، وقد حوت كتاباته مصطلحات بلاغية ونقدية كثيرة.

وكان من سمات المنهج عند العلوي الجمع بين معطيات المدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية، فهو في قسم من كتاباته يسير على منهج أدبيٍ واضحٍ فيه التحليل والإكثار من الأمثلة، وفي قسم آخر يتّبع طريقة المدرسة الكلامية، في تصنيف مسائل البلاغة، وتقسيمها إلى معان، وبيان، وبديع، وهو في هذا يشبهُ عبد القاهر الجرجاني الذي اتّخذ من المنطق والحجج العقلية أساسًا في كتابه دلائل الإعجاز، ومن الذوق والطريقة الفنية منهجًا في كتابه أسرار البلاغة، ولذلك كان منهج العلوي جامعًا بين التنظير والتيسير.

ومن ملامح الاتجاه الأدبي في منهج العلوي البلاغي ما امتازت به كتاباته من وفرة النصوص الأدبية المتنوّعة، وما كان يظهر في سياقاتها من شرحٍ لقواعد البلاغة، وبيان لمبادئ هذا العلم ومصطلحاته، وكتابة العلوي هي كتابة أديب متذوّق يضع يديك على مواضع الحسن، وينبّهك على عناصر الجمال. وأمّا منهجه في اختيار النصوص والاستشهاد بها، فكان قائمًا على اختيارها أولاً من القرآن الكريم، ثمّ من كلام النبي – ﷺ – ومن كلام الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ثمّ من كلام فصحاء العرب شعرًا ونثرًا، وأمّا الأداء التعبيري عنده فيتّخذ ثلاثة مستويات من الأسلوب هي: الأسلوب التعليمي، والأسلوب المرسل الجميل، والأسلوب الأدبي المتصنّع.

ولم يتّجه العلوي – في الغالب – إلى تقليد البلاغيين السابقين، واتباعهم في ما وصلوا إليه من تقعيد القواعد، وبسط المسائل، وتحديد المصطلحات، وإنّما عُني بالتجديد في المنهج، والإضافة في المصطلح، والتيسير في تلك القواعد، وكان من سمات منهجه البلاغي

الربط القوي بين مسائل البلاغة ومسائل إعجاز القرآن، فهو يدرس البلاغة من أجل أن يمتلك الدارسون القدرة على معرفة الإعجاز البياني.

والعلوي بمنهجه قد سعى – فيما يبدو – إلى تجديد منهج عبد القاهر الجرجاني، وذلك بالعودة بالبلاغة إلى الذوق والأدب، وربطها بالإعجاز القرآني، على الرغم من بعض العيوب التي اعترت منهجه مثل التكرار، وكثرة التقسيم، واستخدام مصطلحات علم الكلام.

المصادر والمراجع

١- **أسرار البلاغة - الجرجاني**، عبد القاهر (٤٧٤هـ) - تحقيق محمود محمد شاكر - ط١ مطبعة المدني جدّة ١٩٩١م.

٢- **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة - الجرجاني**، محمد بن علي (٧٢٩هـ) - تحقيق عبد القادر حسين - ط١ دار نهضة مصر، القاهرة (د. ت).

٣- **الأعلام - الزركلي**، خير الدين - ط دار العلم للملايين، بيروت (د. ت).

٤- **الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية - أحمد محمود صبحي** - ط١ منشورات العصر الحديث ١٩٩٠م.

٥- **الإيجاز لأسرار الطراز في علوم البيان وإعجاز القرآن - العلوي**، يحيى بن حمزة (٧٤٩هـ) **(مخطوط)** - مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، اليمن - رقم: بلاغة ١.

٦- **البحث البلاغي عند العرب - أحمد مطلوب** - ط دار الجاحظ للنشر بغداد ١٩٨٢م.

٧- **البدر الطالع - الشوكاني**، محمد بن علي (١٢٥٠هـ) ط دار المعرفة بيروت (د. ت).

٨- **البلاغة تطوّر وتاريخ - شوقي ضيف** - دار المعارف القاهرة (د. ت).

٩- **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري - محمد أبو موسى** - ط١ دار الفكر العربي القاهرة (د. ت).

١٠- **البيان العربي - بدوي طبانة** - ط ٧ دار المنارة جدّة.

١١- **التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن - ابن الزملكاني**، عبد الواحد بن عبد الكريم (٦٥١ هـ) - تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي - ط١ بغداد ١٩٦٤م.

١٢- **تيسير البلاغة - أحمد مطلوب** - مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق - ج٤ مجلد ٧٣- سنة ١٩٩٨م.

١٣- **جواب الإمام لرجل من الشام يسأله عن أحواله** (رسالة مخطوطة) - **العلوي**، يحيى بن حمزة (٧٤٩هـ) - مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، مجموع ١٠٦.

١٤- **الخصائص - ابن جنّي**، أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ) - تحقيق محمد علي النجار - ط عالم الكتب بيروت (د. ت).

١٥- **الدرس البلاغي عند العلوي في كتابه الطراز - دلسوز**، جعفر حسين - رسالة ماجستير (مخطوط) ١٩٨٦م - مكتبة الجامعة الأردنية، عمان الأردن.

١٦- **الرسالة الوازعة للمعتدين عن سبّ صحابة سيّد المرسلين - العلوي**، يحيى بن حمزة (٧٤٩هـ) - ط١ - مكتبة دار التراث - صنعاء ١٩٩٠م.

١٧- **الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - العلوي**، يحيى بن حمزة (٧٤٩هـ) - ط١ مكتبة المقتطف القاهرة ١٩١٤م.

١٨- **القزويني وشروح التلخيص - أحمد مطلوب** - ط١ بغداد ١٩٦٧م.

١٩- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ابن الأثير**، ضياء الدين (٦٣٧هـ) - تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة - ط ١ دار النهضة القاهرة (د. ت).

٢٠- **مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار - العلوي**، يحيى بن حمزة (٧٤٩هـ) - تحقيق محمد السيد الجليند - ط ١ دار الفكر الحديث القاهرة ١٩٧٣م.

٢١- **المصطلحات البلاغية والنقدية في كتاب الطراز للعلوي - عبد الرزاق أبو زيد زايد** - ط١ مكتبة الشباب القاهرة ١٩٨٨م.

٢٢- **مناهج بلاغية - أحمد مطلوب** - ط١ وكالة المطبوعات - الكويت ١٩٧٣م.

Abstract

AL-ALAWI'S APPROACH TO THE ARABIC RHETORIC.

DR. BIN ISSA BATAHER

This article aims to explore the characteristics of the approach of Yahya b. Hamza Al- Alawi (died 749 A.H.) towards Arabic rhetoric. Being one of the prominent and famous rhetoricians of the eight century A.H, Al- Alawi's book (Al-Tiraz) received huge acclaim, and was considered as one of the best books in traditional rhetoric after Al-Jurjani's two books (Al-Dalail) and (Al-Asrar).

Al-Alawi's methods was based on combining the characteristics of the literary and theological schools. He skillfully uses the main references of Arabic rhetoric, and his approach is characterized by the redefinition of most of the technical terms used. Unlike the methodology and style of Al-Sakkaki and Al-Dazurini, Al- Alawiís, style tends to be simple, straightforward and interesting.

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

ACADEMIC REFEREED JOURNAL OF
ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

EDITOR IN-CHIEF
Prof. MUHAMMED KH. AI DANNA

EDITING SECRETARY
DR. MUSTAFA ADNAN AL ETHAWI

EDITING BOARD
PROF. RIDWAN M. BIN GHARBIH
DR. M. ELHAFIZ AL-NAGER
DR. UMAR BU QARURA

ISSUE NO. 26
Shawwal, 1424H - December 2003G

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the **"Ulrich's International Periodicals Directory"**
under record No. **157016**

ISSN 1607-209X

UNITED ARAB EMIRATES- DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

Academic Refereed Journal of

ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

ISSUE NO. 26
Shawwal, 1424H - December 2003G